محاضرة 5 الحجاج والنظرية التواصلية

في مفهوم التواصل: المصطلح الغربي communication له في اللغة العربية عدة مقابلات منها: البيان، الإعلام، الإخبار، البلاغ، التبليغ، الاتصال والتواصل، وحسب نور الدين رايص في كتابه نظرية التواصل، فالمصطلحات الأربعة الأخيرة هي الأقرب للمصطلح الغربي، لكن الباحثين العرب في هذا المجال ذهبوا فيه من مذاهب عدة، فإبراهيم أنيس رجّح مصطلح الإيصال لتقريبه للفهم والتفاهم وحجته في ذلك أن الإنسان القديم لم يكن معنيا بنقل الأفكار كما الفلاسفة بقدر عنايته بالعواطف والغرائز وتلبية حاجياته.

أما عيده الراجحي فاختار "التواصل" وذلك عند نقله عن لغويين محدثين (الغرب) كإدوار سابير ومارجريت شلوخ، الذين يرون أن وظيفة اللغة هي التواصل داخل المجتمع، في حين فضّل الماركسيون الاتصال.

وقد نحا اللساني اللبناني ميشال زكريا المنحى ذاته واستعمل مصطلح التواصل لأنه في رأيه المظهر الأساسي لاستعمال اللغة، وفيه يتم نقل الدلالات والمعاني بواسطة الإشارات الصوتية، ويضاف إليه "اللغوي" تمييزا له عن غيره من أنواع التواصل غير اللغوي كلغة الإشارات والألوان....

تعريفه: عرّفه جون ديبوا في معجمه اللغوي على أنه تبادل كلامي بين متكلم ومحدث لملفوظ موجه إلى (متلقي سامع يلتمس الاستماع إليه أو جوابا ظاهرا أو باطنا.

وفي سياق تاريخي اتجهت الدراسات اللغوية من خلالها النقدية إلى البعد التواصلي للغة، والحجاج بعد اعادة بعثه لم يثر في الدراسات الفردية إلا مع تطور التداولية، على الرغم من أنه يشكل جزءا مهما في حياتنا اليومية، فهو ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق، واللغة ومنفتح على العالم الخارجي، ومرتبط بدواعي القول، ذلك أن التواصل لا يتم من دون هدف، بل يأتي لربط علاقات مع الغير، بهدف التأثير فيه، أو على الأقل الاتفاق معه، وذلك بإثارة اعتقاد أو تبرير قرار أو الدفع إلى عمل لأن الحجاج يتوجه الى الاعتقاد بالدرجة الأولى وهذا الاتجاه في الدراسات الحجاجية يجعل الحجاج حوارا يسعى أصحابه (المشاركون فيه) إلى إنجاحه ففي التواصل لابد من وجود طرفين، يسعى كل واحد منهما إلى إثبات رأيه ودحض رأي الآخر في موقف محدد له حتما أثره على الحوار. ومن الذين ساهموا في تطوير هذا التوجه نجد جورج موشلار بمشروعه الحجاجي القائم على التحاور ضمن نظرية التواصل فدرس الأطر التي يتشكل فيها الحجاج بوصفه فعلا كلاميا ضمن سلسلة من التبادلات الكلامية التي ينتجها الطرفان يأخذ فيها كل واحد دوره في الكلام ضمن هذه السلسلة، والحجاج بهذا التصور تفاعل ونشاط يومي يقوم به كل الناس في مشاهد

الحياة اليومية المختلفة وخذا أبسط مظاهره، كما يتمظهر في المشهد السياسي والتعليمي والإعلامي وكذا الأدبي قد تختلف فيه الحجج لكن صورة التفاعل الذي يحققه التواصل تبقى ثابتة.

خصائص الخطاب الحجاجي: ليس بالضرورة أن يكون كل خطاب حجاجيا فقد لا يكون هدفا للمتكلم بحد ذاته كما في خطابات التعارف والمسامرة وغيرها، فالخطاب الحجاجي متميز عن غيره فهو خطاب مبني وموجه وهادف، مبني استدلاليا وموجه بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية ثقافية اجتماعية، تتطلب نقاشا حجاجيا ومن هذه الخصائص:

1- خاصية البناء والدينامية:

الحجاج ليس قولا أو قالبا جاهزا فهو عملية بناء تدريجي تتطلب تكييف الحجج مع الواقع لتعطي النتيجة المرجوة، فهو ليس ثابتا ولا جامدا.

2- خاصية التفاعل:

الخطاب الحجاجي مبني على مبدأ الادعاء والاعتراض، وهما يحيلاننا إلى الاختلاف في الرأي، ويرجع ذلك للمتكلم والمخاطَب فينتج ازدواج في القصد وازدواج في التكلم وازدواج في الاستماع وازدواج في السياق وهنا تأتي أهمية التفاعل بين الطرفين.

3- خاصية الالتباس:

تعدّ اللغة الطبيعية أصلا لكل غموض دلالي ومجالا للانزياحات والأمر أكثر تعقيدا بالنسبة للعملية الحجاجية، فهو عمق للالتباس والمجال فيه مفتوح أمام مهارة المتكلم وقدرته الخطابية في تشكيل أقواله ليفهمها الطرف الثاني بكل سهولة وفقا للسنن اللغوي.